HexaTimes
Delaware, United States
Hexa
Journal of Sharia Sciences and Islamic Studies
هكسا
مجلة علوم الشريعة والدراسات الإسلامية

الوسطية بين البناء المفاهيمي والرؤية التأصيلية من المنظور المقاصدي

الدكتورة حنان خياطي، أستاذة التعليم العالي مساعد
كلية الآداب والعلوم الإنسانية -الجديدة /المغرب- مختبر دراسات الفكر والمجتمع.

khiyatih@gmail.com

ملخص

الوسطية والاعتدال هي خصيصة من خصائص الإسلام وركيزة من ركائزه، وهي منهج دعا إليه جميع علماء المسلمين وتوجوا سيرهم بالسير على هذا المنهج وطبقوه في حياتهم العلمية والعملية ونحتاج اليوم تصحيح التصورات الخاطئة، وتصويب المفاهيم الغامضة، وتقويم التطبيقات السيئة؛ قصد تجنيب الناس الزيغ والضلال، والغلو والتشدد، والإفراط والتقصير، والانحلال والتهاون، فيستوي الناس على المنهج القرآني الساطع؛ منهج التوسط والاعتدال في الالتزام بتعاليم الدين الإسلامي التزاما معتدلا وسطا، بلا تطرف ولا انحراف؛ فهما وسلوكا، علما وعملا؛ تحقيقا لمقاصد القرآن السامية وهي: تنزيل مقتضيات المنهج الوسطي في الواقع سلوكا ملزما، تنظم المجتمع، وتحكم العلاقات الاجتماعية، والتشريعات والقوانين؛ لتصبح منهج حياة وأسلوب عيش وهو ما يجعل من المسلمين أمة الخيرية والعدالة التي تتحمل بجد وإخلاص مهمة البناء البشري والعمراني، تربية وأخلاقا، ماديا ومعنويا. قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110].

الكلمات المفاتيح: الوسطية -الاعتدال -الفكر المقاصدي .

Moderation Between the Concept and the Original Vision From the Perspective of Purposes

Abstract

Moderation and is one of the characteristics of Islam and one of its pillars. It is a method called for by all Muslim scholars, and they crowned their path by following this method and applied it in their scientific and practical lives. Today, we need to correct misconceptions, correct ambiguous concepts, and correct bad applications. The intention is to spare people deviation and misguidance, extremism and , excess and negligence, dissolution and negligence, so people are equal to the bright Qur'anic approach; The approach of moderation and moderation in adhering to the teachings of the Islamic religion is moderate and moderate, without extremism or deviation. understanding and behaviour, knowledge and action; In order to achieve the lofty purposes of the Qur'an
Key words: moderation, objectives of Islamic law.

مقدمة:

أجمعت كلمة العلماء سابقهم ولاحقهم على أن الإسلام دين وسط يتميز باليسر والرحمة، ويبتعد عن التطرف والتشدد في كل مجالاته، عقيدة وشريعة، فكرا وسلوكا. قال تعالى:" **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** «البقرة الآية :143.

والوسطية ضرورة إنسانية، ومطلب كوني، ومقصد عمراني، يتضمن قيم التوازن والاعتدال، ويشمل مفاهيم التسامح والرفعة والسمو، ويؤول إلى مقاصد العدل والرحمة والصلاح والاستقامة، ويتشكل من مجموعة من القيم والمفاهيم المستنبطة من الشريعة الإسلامية التي تهدف إلى تدبير الاجتماع العمراني وتوجيه السلوك الإنساني نحو اختيار العدل والرحمة والوسط من كل شيء من غير إفراط ولا تفريط.

ولهذا سنحاول من خلال هذه الورقة أن نتناول:

مفهوم الوسطية في علاقتها بمقاصد الشريعة، ركائزها أو مبادئها في مصادر الشريعة الإسلاميّة، لنقف عند أهّم المعيقات التي تقف حجرة عثرة في طريق إرساء طرقٍ للحوار ودعم ثقافة التّسامح والتعايش والاعتراف بالآخر، وذلك بسبب ما يبذله الغرب عبر وسائل الإعلام العالمية من مجهوداتٍ مغرضة تهدف إلى تشويه صورة الإسلام والمسلمين.

أهمية البحث:

- تتجلى في حاجة الإنسانية لإظهار حقيقة الإسلام المتمثلة بوسطيته وسماحته، وإظهار الصورة الناصعة المضيئة المشرقة لهذا الدين وإزالة ما اعتراها من تشوهات بسبب سلوكيات خاطئة.

أهداف البحث:

- يهدف البحث إلى التعريف بالإطار العام لمفهوم الوسطية، وتنزيله من أفق التجريد النظري والأحكام القيمية إلى حيز التفعيل والممارسة العملية. كما يهدف إلى التعريف بالوسطية وموقعها بين منطلقات الدعوة ومقاصدها.

مشكلة البحث:

من ضمن الأسئلة التي أثارها هذ البحث ما يلي:

- ما المقصود بماهية الوسطية والاعتدال؟
- ماهي خصائص الوسطية وماهي أبرز تجلياتها في التشريع الإسلامي؟
- ماهي علاقة الوسطية بمقاصد الإسلام؟ وما أثر مراعاة المقاصد الشرعية في تفعيل منهج الوسطية؟

الدراسات السابقة:

بعد الرجوع للدراسات السابقة وجدت دراسات كثيرة تتعلق بالوسطية، إلا أني لم أجد دراسة تحدثت عن معالم الوسطية من خلال ربطها بمقاصد الشريعة سوى الدراسة الموسومة بالرؤية الوسطية في حفظ المقاصد الضرورية للشريعة الإسلامية، ودراسة وسطية الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالمقاصد، إعداد الدكتور حسن عون العسبلي العرياني، ودراسة أثر مراعاة المقاصد الشرعية في تفعيل منهج الوسطية الدكتور: رصاع موسى، ومن الدراسات التي تناولت جانبا من الجوانب العامة للوسطية واستفدنا منها في هذا البحث:

ـ وسطية الإسلام لمحمود عبد الخالق السعداوي.

ـ وسطية أهل السنة والجماعة في باب القدر لعبد الله بن سليمان

ـ الوسطية في القرآن الكريم علي محمد الصلابي

منهجية البحث:

إن البحث العلمي يقتضي اعتماد مجموعة من المناهج التي تتوافق مع طبيعته الموضوعية، وقد فرضت طبيعة هذا البحث أن يتقاسمه منهجين:

المنهج الوصفي التحليلي: من خلال جمع المعلومات والحقائق وتفسيرها وتحليل محتواها وفق مسارات البحث

وقد كانت خطة هذا البحث على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها أهداف البحث ومشكلاته والدراسات السابقة.

محاور البحث: يحتوي البحث على أربعة مباحث:

المبحث الأول – المنطلقات التأسيسية والمفاهيمية.

المبحث الثاني – خصائص الوسطية والاعتدال في المنهج الإسلامي.

المبحث الثالث-ملامح الوسطية في التشريع الإسلامي.

المبحث الرابع- البعد المقاصدي في تفعيل مبدأ الوسطية.

الخاتمة: وفيها ما توصل إليه البحث من نتائج وتوصيات.

المبحث الأول: المفاهيم والمنطلقات التأسيسية

تعتبر دراسة المفاهيم مفتاحا لفهم ما يحيط بالعلم من إشكاليات معرفية وموضوعية، وترجع أهميتها ليس لكونها جانبا من جوانب الوقوف على التراكمات المعرفية فحسب بل تتجاوز ذلك إلى فهم الظواهر وتفسيرها بنية الوقوف على حقائقها بما يساعد على وضع منهجية معرفية للمتخصصين والباحثين.

أولا -التعريف بمصطلح الوسطية من الناحية اللغوية والاصطلاحية:

-تعريف الوسطية من الناحية اللغوية:

كلمة مأخوذة من الجذر (وسط):"فالواو والسين والطاء: بناء صحيح يدل على العدل والنصف وأعدله الشيء:

أوسَطه ووَسطُه" (ابن فارس، 1999م) وترد في اللغة على معان عدة، ومنها الآتي:

فتأتى وسط بمعنى: "قطع الشيء نصفين" (ابن منظور، 2008م)، كما يطلق وسط الشيء على: "ما بين طرفيه" (ابن سيده المصري، 2000م)، ويراد بها: «أوسط الشيء أفضله وخياره" (ابن فارس، 1999م)، والوسط تارة يقال: "فيما له طرفان مذمومان" ما تستعمل بمعنى: «الوسط من الناس وكل شيء: أعدله" (الفراهيدي، 2003م)، ويقال: شيء وسط أي بين الجيد والرديء". (الزبيدي، 2011م)

وبالنظر فيما ورد عن أهل اللغة نجد أن الوسطية لها معان متعددة: منها قطع الشيء نصفين أو كما بين الطرفين، أو يقال: فيما له طرفان مذمومان، أو أفضل الشيء وخياره، أو أعدله، وبين الجيد والرديء، وهي كلها معان متقاربة، وتؤدي نفس المعنى.

-تعريف الوسطية من الناحية الاصطلاحية:

وردت لفظة "وسط" ومشتقاتها في مواضع عدة في القرآن والسنة، وعرف بعض المفسرين الوسط بأنه:" العدل والخيار، وذلك أن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط والنقص عنه تفريط وتقصير وكل من الإفراط ميل عن الجادة القويمة فهو شر ومذموم، فالخيار: هو الوسط بين طرفي الأمري المتوسط بينهما" (رشيد رضا، 1990م).

كما عرف في الشرع بأنه: «القصد في الاستقامة على صراط الله المستقيم ومن ضرورة الاستقامة العدل والاعتدال سواء ابتداء أو بين الأطراف المتقابلة والمتضادة، كما أن من مقتضيات الصراط المستقيم مجانبة السبل المنحرفة يمنة ويسره فهو بينهما" (الشلي، 2009م)

وقيل الوسطية في الشرع هي: «الاعتدال والتوازن بين أمرين أو طرفين، بين إفراط وتفريط، أوغلو وتقصير، وهذه الوسطية إذن هي العدل والطريق الأوسط الذي تجتمع عنده الفضيلة" (الزحيلي، 2020).

ويعرفها أحمد عمر هاشم بأنها: «التوازن والتعادل بين طرفي، بحيث لا يطغى طرف على آخر، فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا تقصير، وإنما اتباع للأفضل والأعدال والأجود والأكمل" (هاشم، 1998).

وعرفها يوسف القرضاوي بقوله: «ونعني بها -أي الوسطية- التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متفاوتين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير ويطرد المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطعن على مقابله ويحيف عليه" (القرضاوي ، 1985).

وعرفها البعض بأنها: «عدالة هذه الأمة، واستقامتها في دينها، وأنها قائمة بأمر الله تعالى، وأن دين الإسلام وتشريعاته متصفة بالحكمة واليسر بعيدة عن الغلو والتنطع من جهة، وعن الركون إلى الدنيا والانسلاخ من أحكام الله وهديه من جهة ثانية، فالوسطية هي الإسلام بكل أبعاده وجوانبه، بأركانه وأحكامه" (عومار، 2011م)

ثانيا- الاعتدال في الدلالة اللغوية والاصطلاحية

لغة: العدل: ضد الجور، وما قام في النفس أنه مستقيم (ابن فارس، 1999م)، والعدل هو التقسيط على سواء' (الاصفهاني ، 1412هـ) الاعتدال توسط حال بين حالين في كم أو كيف.

شرعا: هو التزام المنهج العدل الأقوم، والحق الذي هو وسط بين الغلو والتنطع، وبين التفريط والتقصير، فالاعتدال والاستقامة وسط بين طرفين هما: الإفراط والتفريط (العقل، 1425هـ).

والاعتدال هو: الاستقامة والتزكية، والتوسط والخيرية .
فالاعتدال يرادف الوسطية التي ميز الله بها هذه الأمة، قال تعالى وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ .
وقد فسر الرسول صلى الله عليه وسلم هذا بقوله: (والوسط: العدل)، ومن معاني العدل والوسط: الخيار .
ولا يتحقق الاعتدال في الاعتقاد والعمل والعلم والدعوة وغيرهما إلا بالتزام الكتاب والسنة وسبيل المؤمنين

المبحث الثاني: خصائص الوسطية والاعتدال في المنهج الإسلامي

والحديث عن موضوع خصائص الوسطية والاعتدال في المنهج الإسلامي يلزمنا بتحديد مفهوم الخصائص كمفتاح ومدخل:

الخصائص: مأخوذ من خصّه بالشيء يخصُّه خَصاً وخُصوصا، وخصوصية واختصّه أفرد به دون غيره، ويقال اختص فلان بالأمر وتخصص له إذا انفرد به، والخاصية جمع خاصيات وخصائص، ويأتي بمعنى الانفراد وضده العموم (ابن منظور، 2008م).

وفي الاصطلاح: نعني به توضيح الجوهر الناصع للعقيدة والنظم الإسلامية القائمة على الوسطية والاعتدال، وهي مبادئ تعبر عن روح الشريعة الإسلامية وجوهرها

من ملامح وسمات الوسطية نجد:

1- **الخيرية:** ان الوسطيَّة تعني الخيريَّة، سواء أكانت خير الخيرين أو خيرًا بين شرّين، أو خيرًا بين أمرين متفاوتين، وأنَّ المقياس لتحديد الخيريَّة هو الشرع، وليس هوى النَّاس أو ما تعارفوا عليه أو ألفوه، فإنَّ مفهوم الوسطيَّة عند كثير من الناس تعني التّنازل أو التَّساهل بل والمداهنة أحيانًا، حيث يختارون الأمر بين الخير والشرّ وهو إلى الشرّ أقرب في حقيقته ومآله،

وهم يحسبون أنَّهم يحسنون صنعًا. (ابن فارس، 1999م)، وأنَّ أيَّ أمر اتَّصف بالخيريَّة والبينيَّة جميعًا فهو الذي يصحُ أن نُطلق عليه وصف: الوسطيَّة، وما عدا ذلك فلا. (العمر، 2018م)

2- **العدل :** جاء وصف هذه الأمة بالوسطيَّة في قوله تعالى: **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}** البقرة الآية :143، وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنَّه فسَّر الوسط هنا بالعدل ، وإذا نظرنا إلى العدل وجدناه يتضمَّن معنى الخيريَّة ، والعدل كذلك يُقابله الظّلم ، والظّلم له طرفان؛ فإذا مال الحاكم إلى أحد الخصمين فقد ظلم ، والعدل وسط بينهما دون حيف إلى أي منهما (العمر، 2018م)، قال ابن القيم (رحمه الله) والصواب:- (**أن العدل وضع الأشياء في مواضعها التي تليق بها وإنزالها منزلتها ، كما أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه وقد تسمى الله سبحانه بالحكم العدل)** (ابن القيم، 1978).

3- **اليسر ورفع الحرج:** ان رفع الحرج والسّماحة والسهولة راجع إلى الوسط والاعتدال، فلا إفراط ولا تفريط، فالتنطع والتّشديد حرج في جانب عسر التكاليف، والإفراط والتقصير حرج فيما يؤدي إليه من تعطل المصالح وعدم تحقيق مقاصد الشرع (الصلابي، 2007م).

4- **الحكمة:** الحكمة وهي توخي القصد والاعتدال، وإدراك العلل والغايات، ووضع الأمور في نصابها في تبصر وروية وإدراك: **{يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً}** البقرة الآية 296، أوتي القصد والاعتدال فلا يفحش ولا يتعدى الحدود؛ وأوتي إدراك العلل والغايات فلا يضل في تقدير الأمور؛ وأوتي البصيرة المستنيرة التي تهديه للصالح الصائب من الحركات والأعمال... وجماع الحكمة في قول ابن القيم: **"فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي"** (ابن القيم، 2005م)

5- **الاستقامة:** الوسطية استقامة ولو لم تكن على نهج الاستقامة لكانت انحرافا والانحراف إما إفراط أو تفريط (الصلابي، 2007م). قال ابن القيم: **" فالاستقامة كلمة جامعة آخذة بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد، والاستقامة تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات فالاستقامة فيها: وقوعها لله وبالله وعلى أمر الله** (ابن القيم، 2005م).

6- **البينية:** أنَّ البينيَّة من لوازم وصفات الوسطيَّة، إنَّ إطلاق لفظ البينيَّة يدلّ على وقوع شيء بين شيئين أو أشياء، وقد يكون ذلك حسًّا أو معنى، وعندما نقول: إنَّ (الوسطيَّة) لا بدّ أن تتَّصف بالبينيَّة، فإنَّنا لا نعني مجرَّد البينيَّة الظَّرفيَّة، بل إنَّ الأمر أعمق من ذلك، حيث إنَّ هذه الكلمة تعطي مدلولا عمليًّا على أن هذا الأمر فيه اعتدال وتوازن وبُعد عن الغلوّ والتّطرف أو الإفراط والتَّفريط. وبهذا تكون البينيَّة صفة مدح، لا مجرَّد ظرف عابر. ومن هذا التَّفسير جاءت علاقة البينيَّة بالوسطيَّة (الصلابي، 2007م).

المبحث الثالث: معالم الوسطية في البنية الفكرية للشريعة

التوسط والاعتدال منهج كلي أصيل في الشرع الإسلامي، يحكم الفهم، ويوجه التنزيل في كل مجالات التشريع. قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: 77].

وتمسك المسلمين بهذا المنهج يجعلهم أمة الخيرية والعدالة، ويؤهلهم ليكونوا خير أمة أخرجت للناس، ويحملهم مسؤولية دعوة الناس إلى الخير والإحسان، وترك الشر والضلال، ومهمة البناء البشري والعمراني، تربية وأخلاقا، علما وعملا، ماديا ومعنويا. قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110].

وما ذلك إلا لأن الدين الإسلامي دين التوسط والاعتدال؛ عقيدة ومعاملة، أقوالا وأفعالا، قانونا وسلوكا، لا يميل إلى التفريط والتقصير، ولا يجنح إلى الإفراط والغلو، وهو بين طرفي الانحلال والتشدد قواما؛ رغبة في تحقيق الاستقامة والصلاح.

ومن بين ما يتضح فيه التوسط والاعتدال في التشريع القرآني، ما يأتي:

ففي مجال الاعتقاد: جاء الإسلام وسطاً بين الملل، فلا إلحاد ولا وثنية، بل عبودية خالصة لله في الربوبية والألوهية، وفي باب النبوة

والولاية والصحابة توسط: فلا غلو من اتخذهم أرباباً من دون الله، ولا جفاء كما جفت اليهود، ففريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون. وأهل الإسلام الحق يتوسطون فيؤمنون بجميع رسل الله عليهم الصلاة والسلام، وجميع كتبه ويحبون أولياءه، ويترضون عن جميع صحابته رضي الله عنهم وأرضاهم.

وفي مجال العبادة: تتألق فيه وسطية هذه الأمة، في مراعاة مقتضيات الفطرة، والتناسق البديع بين متطلبات الروح والجسد، بلا غلو في التجرد الروحي ولا في الارتكاز المادي، فلا رهبانية ولا مادية بل تناسقٌ واعتدال على ضوء قول الحق تبارك وتعالى: **(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا)** القصص الآية 77.

وفي مجال التشريع والتحليل والتحريم: فتوسطت الشريعة في هذه المجالات بين اليهود الذين حرم عليهم كثيراً من الطيبات، وبين قوم استحلوا حتى المحرمات، والحكم بالتحليل والتحريم حق لله سبحانه **[قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ]** الأعراف الآية :32

وفي منهج النظر والاستنباط: وازن الإسلام بين مصادر التلقي والمعرفة، ووافق بين صحيح المنقول وصريح المعقول، وعالم الغيب والشهادة، وإعمال النصوص ورعاية المقاصد واستجلاء القواعد، وحكم الشريعة وأسرارها، ووازن بين تحقيق المصالح ودرء المفاسد.

وفي مجال الأخلاق والسلوك: مظهر من مظاهر الوسطية في هذا الدين بين الجنوح إلى المثالية والواقعية، وسطية تزكي المشاعر وتهذب الضمائر، وتسمو بالتفكير والشعور وتوازن بين متطلبات الفرد والمجتمع، وإعمال العقل والعاطفة، في تربيةٍ متوازنة وتنسيق متسق بديع، على ضوء المنهج النبوي: {إن لنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً، ولجسدك عليك حقاً، ولربك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه} (البخاري، 1987) .

وفي النظام الاقتصادي: وازن الإسلام بين حرية الفرد والمجتمع، فيحترم الملكية الفردية، ويقرها ويهذبها بحيث لا تضر بمصلحة المجتمع، فجاء الإسلام وسطاً بين رأسمالية ترعى الفرد على حساب الجماعة، واشتراكية تلغي حقوق الأفراد وتملكهم بحجة مصلحة الجماعة. وفي مجال الإنفاق تتحقق الوسطية في قول الحق تبارك وتعالى: **[**وَالَّذِينَ **إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً]** {الفرقان :67}

وفي **النظام السياسي**: جاء الإسلام وسطاً بين النظم، مبيناً حقوق الراعي والرعية، حاضّاً على العدل والقسط، معلياً قيم الحق والأمن والسلام، والسمع والطاعة بالمعروف، مترسماً المنهج الشورى المتكامل، سابقاً شعارات الديمقراطيات المعاصرة إلى تحقيق منافع البلاد والعباد في بعد عن الاضطراب والفوضى، محاذراً الديكتاتورية في الحكم، والاستبداد في الرأي: **(وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)** {آل عمران: 159}

ومما يجلي وسطية الإسلام: جمعه بين الأصالة والمعاصرة، وتميزه بالثبات والمرونة، وحسن التعامل مع المتغيرات، ووضع الضوابط للاجتهاد في النوازل واستيعاب المستجدات، فهو بثوابته وأصوله يستعصي على التميع والذوبان، وبمرونته يستطيع التكيف ويواجه التطور بلا جمود ولا تحجر بل يبني الحياة على القواعد الشرعية، والنواميس المرعية التي تستجيب لحاجات الأمة في مختلف الظروف والأحوال: **[وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ]** {المائدة:50}.

وأخيرا فالوسطية هو منهج سلف هذه الأمة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية وأستاذ ابن القيم (رحمهما الله): **" فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل هم وسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم"**

وفي البناء الاجتماعي: إعطاء الإسلام كل ذي حق حقه، في توازن وبلا إفراط أو تفريط، فللرجل حقه كإنسان وللمرأة حقها وللابن حقه، وللأب حقه، وللأم حقها وللضعيف حقه وللمريض حقه وللعاجز حقه، وللفقراء والمساكين واليتامى والمعوقين وأشباههم من المعوزين حقوق وهكذا...

إقامة التوازن بين حق الأفراد وحق الجماعة إذ «ليس من حق المجتمع الإسلامي أن يستحل ثروات الأفراد أو يستبد بها... فالظلم ظلم، والتسلط الظالم مرفوض في منطق العدالة الاجتماعية» وبهذا جمعت النظرة الإسلامية بين الفردية والجماعية في وسطية وتوازن، ومنح الإسلام للفرد حقوقه وفرض عليه في المقابل واجبات مخصوصة للجماعة.» كل ذلك في مقابل التصورات والمجتمعات التي تطغى فيها

حقوق الفرد فتنسحق أمامها حقوق أفراد كثيرين آخرين يمثلون معظم المجتمع، وفي مقابل التصورات والمجتمعات التي تنسحق فيها حقوق الفرد، فينتهي الأمر بالتصورين معا إلى مصير واحد هو سيطرة قلة باسم الفردية أو الجماعية.

المبحث الرابع: البعد المقاصدي في تفعيل مبدأ الوسطية

تبدو العلاقة وطيدة بين مقاصد الشريعة ومصطلح الوسطية حيث يعتبر «التوسط في التكاليف مقصد عظيم من مقاصد الشارع في وضع الشريعة، فالتوسط مقصد من مقاصد الشارع، وصفة للشريعة، وإدراكه هو ما طلب من العباد" (الشاطبي، 2005م)،وممن كشف عن هذه العلاقة الإمام الشاطبي، وذلك بمناسبة حديثه عن النوع الثالث من مقاصد الشريعة، المتمثل في مقاصد وضع الشريعة للتكليف بمقتضاها، حيث ختم الكلام عن مسائل المشقة والتيسير لمتعلقة بهذا النوع من المقاصد ،بالحديث عن منهج الشريعة في التوجه إلى الاحتكام إلى الوسطية ،قال رحمه الله تعالى:" الشريعة جاريةٌ في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل، الآخذ من الطرفين بقسطٍ لا ميل فيه، الداخل تحت كسب العبد من غير مشقةٍ عليه ولا انحلال، بل هو تكليفٌ جارٍ على موازنةٍ تقتضي في جميع المكلفين غاية الاعتدال، كتكاليف الصلاة، والصيام، والحج، والجهاد، والزكاة، وغير ذلك مما شرع ابتداءً على غير سببٍ ظاهر اقتضى ذلك...فإن كان التشريع لأجل انحراف المكلف ، أو وجود مظنة انحرافه عن الوسط إلى أحد الطرفين ; كان التشريع رادا إلى الوسط الأعدل ، لكن على وجه يميل فيه إلى الجانب الآخر ليحصل الاعتدال فيه ". (الشاطبي، 2005م)

وبيان ذلك أن المنهج العام في التشريع الإسلامي يقوم على مبدأ الوسطية ،والأدلة على ذلك من النصوص الشرعية أكثر من أن تحصى ،حيث أن هذا المبدأ يتناسب مع قدرات جميع المكلفين ،هذا هو الأصل الكلي ،غير أنه يعدل عن هذه القاعدة العامة لمعالجة امر طارئ ، "فإذا نظرت في كلية شرعية فتأملها تجدها حاملة على التوسط ، فإن رأيت ميلا إلى جهة طرف من الأطراف ، فذلك في مقابلة واقع أو متوقع في الطرف الآخر.

فطرف التشديد - وعامة ما يكون في التخويف والترهيب والزجر - يؤتى به في مقابلة من غلب عليه الانحلال في الدين. وطرف التخفيف - وعامة ما يكون في الترهيب والترغيب والترخيص - يؤتى به في مقابلة من غلب عليه الحرج في التشديد ، فإذا لم يكن هذا ولا ذاك رأيت التوسط لائحا ، ومسلك الاعتدال واضحا ، وهو الأصل الذي يرجع إليه والمعقل الذي يلجأ إليه." (الشاطبي، 2005م)

- ويقول الإمام العز بن عبد السلام (رحمه الله): وعلى الجملة فالأولى بالمرء ألا يأتي من أقواله وأعماله إلا بما فيه جلب مصلحة، أو درء مفسدة مع الاعتقاد المتوسط بين الغلو والتقصير. (العز ابن عبد السلام، 1990م)

- أما ابن القيم الجوزية فبعد أن يؤكد أن دين الله تعالى بين الغالي والجافي، وأن خير الناس النمط الأوسط بعيداً عن تقصير المفرطين وغلو المعتدين، يقول: **" وقد جعل الله سبحانه هذه الأمة وسطا، وهي الخيار العدل لتوسطها بين الطرفين المذمومين، والعدل هو الوسط بين طرفي الجور والتفريط)، كما يقول رحمه الله: ما من أمر إلا وللشيطان فيه نزعتان، إما إلى غلو وإما إلى تقصير، والحق وسط بين ذلك..."** (ابن القيم ، 1975م)، قال ابن القيم رحمه الله: **«وقد اقتُطع أكثر الناس إلا أقلَّ القليل في هذين الواديين: وادي التقصير، ووادي المجاوزة والتعدي والقليل الثابت على الصراط الذي كان عليه رسول الله** على الله عليه وسلم **وأصحابه»** (ابن القيم ، 1978)

ويقول ابن عاشور: «الشريعة تسعى إلى تحقيق المقاصد في عموم طبقات الأمة بدون حرج ولا مشقة، فتجمع بين مناحي مقاصدها في التكاليف والقوانين مهما تيسر الجمع "(ابن عاشور ، 2011م)،من هنا فإن الشريعة راعت بما وضعته من أوامر ونواهي حفظ مقاصد الخلق ومصالحهم ،وهي متنوعة ومتعددة بحسب اعتباراتها المصلحية ،فباعتبار قوتها في ذاتها تنقسم إلى الكليات الخمس المشهورة :حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال ،ويتفرع من كل كلية ما هو ضروري وحاجي وتحسيني ،وما مكمل لها ،وباعتبار عمومها وخصوصها تكون المصلحة خاصة أو عامة ،وباعتبار القطع والظن تكون حقيقية أو وهمية ،وتكون قطعية أو ظنية ،وباعتبار شهادة الشارع وعدمها تكون معتبرة وملغاة ومرسلة ،وبهذا الاعتبارات تتحدد المصالح وتترجح عند التعارض إذا تعلقت بمحل واحد ،فيقدم حفظ الدين على النفس ،وحفظ النفس على حفظ العقل وهكذا ،ويقدم ما هو ضروري على ما هو حاجي، وماهوا حادي على ما هو تحسيني ،ويقدم ما هو عام على ما هو خاص ،وما هو قطعي على ما هو ظني ،وما هو ظني على ما هو وهمي ،ولا شك أن هذا الباب من أكثر أبواب الشريعة أهمية، فقد ذكر ابن

تيمية أنه فصل عظيم يجب الاهتمام به ،لأن من جهته حصل في الدين اضطراب عظيم ،فعند اجتماع المصالح والمفاسد والمنافع والمضار وتعارضها ،يحتاج إلى الفرقان ويقول :"الحكيم هو الذي يقدم أعلى المصلحتين ،ويدفع أعظم المفسدتين" (البدوي، 2000م)،وبناء على ذلك فإن اعتبار المصالح والنظر إليها لا يكون إلا إذا روعي معارضتها أهم منها أو مساوية لها.

والمنهج الصحيح وسط بين هذا وذاك، ويعطي الكلي نصيبه ويضع الجزئي في نصابه. يقول الشاطبي رحمه الله: «فمن الواجب اعتبار تلك الجزئيات بهذه الكليات «، يعني الضروريات والحاجيات والتحسينيات، عند إجراء الأدلة الخاصة من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، إذ محال أن تكون الجزئيات مستغنية عن كلياتها.

إن المنهج المقاصدي بقواعده المحكمة وضوابطه الشرعية يحقق الوسطية التي تأخذ بالعزائم دون التجافي عن الرخص في مواطنها، وتطبق الثوابت دون إهمال للمتغيرات، ويتعامل مع تحقيق المناط في الأشخاص والأنواع، وتضبط قواعد الإعمال للحاجات والمصالح، ويتم بموجبه الربط الواصب بين النصوص وبين معتبرات المصالح في الاجتهاد.

النتائج والتوصيات

في ختام هذه الدراسة يمكن استخلاص النتائج التالية:

1-إن الوسطية نظرية قائمة بذاتها في التشريع الإسلامي قامت عليها كلياته وجزئياته ومسائله ونظرياته، اصوله وقواعده مقاصده وأحكامه فما من مسألة ولا كلية ولا أصل شرعي ولا مقصد شرعي إلا وترتج في جوهرها إلى التوسط والاعتدال.

2-إن المقاصد الشرعية وسطية كذلك في غايتها، فلا إفراط ولا تفريط في آثارها، بل توسط واعتدال، وعلى هذا فإن الانحراف عن سنن الوسطية والاعتدال في المقاصد الشرعية يفضي بها إلى الوقوع في الحرج ومناقضة ظاهرة لقصد الشارع في تأصيلها أو تنزيلها من حيث الأخذ بطرفي الإفراط أو التفريط.

3-يستلزم على الناظر في مراد الله استحضار ضابط الوسطية فهما واستنباطا في تقرير المقاصد وتنزيلها وفي طرائق الاستدلال بها أو لها تأصيلا وتنظيرا تفريعا وتنزيلا.

التوصيات

-ضرورة تفعيل مقاصد الشريعة في جميع أحكام الشريعة الإسلامية، وإحكام النظر إلى مبدأ الوسطية في ضوء مقاصد الشريعة.

-تدعيم المقررات الدراسية بموضوعات عن الوسطية في كليات الشريعة، والدراسات الإسلامية، والمعاهد العلمية.

-إقامة المؤتمرات، والندوات، والملتقيات، لبيان أهمية الوسطية وأثرها في تحقيق الأمن المجتمعي.

-نشر ثقافة الوسطية بين أفراد المجتمع من خلال وسائل الإعلام المختلفة.

المصادر

ابراهيم بن موسى الشاطبي. (2005م). *الموافقات*. بيروت: دار المعرفة.

ابن القيم, م1975) .م .(*إعاثة اللهفان من مصائد الشيطان* .بيروت: دار المعرفة.

أبو الحسين أحمد ابن فارس. (1999م). *مقاييس اللغة*. بيروت، لبنان: دار الجيل.

أبو الحسين علي بن اسماعيل ابن سيده المصري. (2000م). *المحكم والمحيط الأعظم*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

ابو امامة الشلي. (2009م). *ملامح الرؤية الوسطية في المنهج الفقهي*. الرياض: وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية.

أحمد عمر هاشم. (1998). *وسطية الاسلام*. غزة: دار الرشاد.

الخليل بن أحمد الفراهيدي. (2003م). *كتاب العين*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

الراغب الاصفهاني. (1412هـ). دمشق: دار القلم.

الطاهر ابن عاشور . (2011م). *مقاصد الشريعة*. بيروت: دار الكتاب اللبناني.

العز ابن عبد السلام. (1990م). *قواعد الأحكام*. بيروت: دار الريان.

صالح بن سعيد عومار. (2011م). أثر الوسطية في استقامة الشباب ونظرتهم الإيجابية للمستقبل. *دور الجامعات العربية في تعزيز مبدأ الوسطية بين الشباب العربي*. جامعة طيبة.

محمد الصلابي. (2007م). *الوسطية في القرآن الكريم*. القاهرة: مؤسسة اقرأ.

محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن القيم. (1978). *شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل*. بيروت: دار الفكر.

محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن القيم. (2005م). *مدارج السالكين*. القاهرة: دار الحديث.

محمد بن اسماعل البخاري. (1987). *الجامع الصحيح المختصر*. بيروت: دار ابن كثير.

محمد بن مكرم ابن منظور. (2008م). *لسان العرب*. بيروت، لبنان: دار الفكر.

محمد رشيد رضا. (1990م). *تفسير المنار*. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

محمد مرتضى الحسيني الزبيدي. (2011م). *تاج العروس*. بيروت: دار الكتب العلمية.

ناصر بن سليمان العمر. (2018م). *الوسطية في ضوء القرآن*. المملكة العربية السعودية: ووارة الأوقاف السعودية.

ناصر بن عبد الكريم العقل. (1425هـ). أثر القرآن في تحقيق الوسطية ودفع الغلو. *الوسطية والاعتدال في القرآن الكريم* (صفحة 4). المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف والدعوى والرشاد.

وهبة الزحيلي. (5 اكتوبر, 2020). *المركز العالمي للنشر*. تم الاسترداد من https://www.quranicthought.com/ar/books/الوسطية-مطلباً-شرعياً-وحضارياً-وهبة-ا/

يوسف أحمد محمد البدوي. (2000م). *مقاصد الشريعة عند ابن تيمية*. القاهرة: دار النفائس.

يوسف القرضاوي . (1985). *الخصائص العامة للإسلام*. بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة.